

الواقع السكاني في فترة الاحتلال :

مشروع الاستيطان في مواجهة الحيوية الديموغرافية للمجتمع الجزائري

أ. العيساوي صونيا

جامعة أبو القاسم سعد الله. الجزائر 2

الملخص باللغتين

Résumé : Cet article traite de l'importance de la population. Il retrace l'évolution des deux populations : la population européenne et population algérienne, ou population autochtone aux premières années de la colonisation. A travers leur comparaison, il montre la vitalité démographique de la population algérienne, ce qui lui a permis de continuer à exister malgré la politique répressive de la France coloniale.

L'accroissement de la population algérienne a été l'une des raisons de l'échec du projet de peuplement des terres algérienne par les français et européens.

Mots clés : population algérienne autochtone ; population indigène ; natalité ; mortalité ; croissance démographique ; colonisation ; peuplement ; vitalité démographique.

ملخص: يتناول هذا المقال أهمية السكان من خلال متابعة إحصائية لنمو المجتمعين الأوروبي و الأصلي على الأراضي الجزائرية في بداية الاحتلال الفرنسي. و يظهر الحيوية الديموغرافية و التغلب العددي للسكان الأصليين، ماسمح بالاستمرار في الوجود و البقاء للمجتمع الجزائري رغم السياسات القمعية للاحتلال .

و بالتالي فإنّ النمو السكاني للمجتمع الجزائري في الفترة الاستعمارية شكّل أحد أسباب فشل سياسة مشروع الإستيطان لفرنسا.

الكلمات المفتاحية : السكان الجزائريين الأصليين؛ الأهالي؛ الولادات؛ الوفيات؛ النمو السكاني؛ الاستعمار؛ الاستيطان؛ الحيوية الديموغرافية.

الواقع السكاني في فترة الاحتلال :

مشروع الاستيطان في مواجهة الحيوية الديموغرافية¹ للمجتمع الجزائري.

مقدمة:

يعتبر سكان أيّ مجتمع قوته. و لكن في الكثير من الأحيان، يعتبرون عبئا على اقتصاده و نموه. و بالمقابل فإنّ أيّ تراجع هام للسكان و لنموهم، قد يهدّد بقاء المجتمع. فماذا يساوي مجتمع بدون سكانه.

و غالبا ما يُنظر إلى التزايد السكاني القوي كعائق للتنمية الاقتصادية، و سببا للتخلف، و هذا حال بلدان جنوب الكرة الأرضية.

إنّ النمو السكاني السريع و المرتفع، كان من بين اهتمامات الهيئات الدولية مثل الأمم المتحدة من خلال صندوقها للسكان، موجهة دعوة للبلدان في طريق النمو أي بلدان العالم الثالث لتشجيع و تعميم التنظيم الأسري.

و قد تابعت المؤتمرات الدولية للسكان عبر الزمن و التي نُظّمت معظمها على خلفية سياسية و صراعات إيديولوجية. و كلّها تُحدّر من خطورة التزايد السكاني السريع في العالم، و تأثيره السلبي على الكرة الأرضية و على الشعوب (تفشي الفقر، المجاعات، تدهور البيئة... إلخ).

مع هذا، فإنّ مثال التطور السكاني للمجتمع الجزائري في الفترة الاستعمارية، يعطي فكرة أخرى حول أهمية السكان، كقوة للصمود و المقاومة، و استمرار وجود مجتمع.

إنّ نجاح الاستعمار ، كان يعتمد على تعزيز الوجود العسكري، بمشروع الاستيطان، أي بتعمير الأراضي الجزائرية بالسكان الفرنسيين و الأوروبيين . فمن خلال سياسة عسكرية، كان يُرسم لسياسة ديموغرافية ، تلك التي تهدف إلى السيطرة العددية للمعمرين.

و يمكن تلخيص هذا المشروع في هدفين:

1. تشجيع هجرة الفرنسيين و الأوروبيين إلى الأراضي الجزائرية، حيث كانت تمنح الجنسية الفرنسية فيما بعد للأوروبيين. و الهدف هو تكوين مستوطنات زراعية أساسا ، من خلال توزيع الأراضي على المعمرين زيادة على منح العديد من الامتيازات الأخرى لهم.

2. استبدال السكان الأصليين (ما سمي بالأهالي les indigènes) بالفرنسيين و حتى بالأوروبيين، و هذا بتطبيق سياسة القمع على الجزائريين (الإبادة ، الجمع في محتشدات، العزل... إلخ) .

و لمعرفة و تتبع نتائج هذا المشروع الاستيطاني، اهتمت الحكومة الفرنسية مُبكرا برصد عدد السكان على الأراضي الجزائرية ، بهدف التحكم و السيطرة على السكان الأصليين ، الذين كانوا في أغلبيتهم يقطنون الأرياف وكان الكثير منهم بدوياً رحلاً، و يشغلون بالتالي حيّزا واسعا من إقليم.

هكذا فإنّ الديموغرافيا، أو الإحصاء السكاني كان ضمن الاهتمامات الأولى للمحتل الفرنسي، منذ نزول القوات الفرنسية إلى الأراضي الجزائرية عام 1830، و وصول الوفود الأولى للمهاجرين الفرنسيين و الأوروبيين .

1. وضع تقنيات القياس الديموغرافي لتقييم عدد السكان في الجزائر.

من بين البلدان، تحت الاحتلال، تُعدّ الجزائر من أوائل المستفيدين من جهاز إحصائي في نهاية القرن التاسع عشر.

فجمع المعطيات الإحصائية للسكان في الجزائر المحتلة، كان مقترنا بمشروع الاحتلال و الاستعمار. و هو مرتبط بشكل كبير بعملية وضع الجهاز الإداري الاستعماري.

و كانت عملية جمع المعطيات و نشرها، عملية منتظمة و تلقائية. و هي تمس مختلف أنماط الحياة الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية للمستوطنات الجديدة. و هدفها الأساسي هو تبليغ الحكومة الفرنسية بسيرورة الحرب و تقدم عملية الاستعمار في الجزائر².

هكذا و في بداية الاحتلال، أقيمت أوّل التعدادات (des dénombremments)، و هي تسجيلات سطحية للسكان ، أعطت أرقاما تقديرية. ثمّ تلتها إحصاءات للسكان (des recensements) ، تُقام بصفة منتظمة كل خمس سنوات، يؤخذ بعين الاعتبار فيها خصوصيات السكان.

في هذه الفترة فإنّ الجزء الهام من جمع المعطيات الإحصائية حول السكان، تمّ القيام به من طرف الإدارة العسكرية. و خصّ أولا السّكان الأوروبيين المقيمين في الجزائر، و الذين تمّ إحصائهم في المدن انطلاقا من سنة 1836، ثمّ عمّم ليشمل بعدها الأهالي أو السكان الأصليين نظرا لاحتياجات الحرب و التسيير الإداري.

و أهم الإحصاءات و تعدادات القبائل أقيمت في سنوات 1844-45، 1856، 1866. و قد قامت بها "المكاتب العربية" (les bureaux arabes)، المؤسسة في 1 فبراير 1844. أمّا أوّل إحصاء للسكان في الجزائر، و الذي اهتم بالمجتمعين في نفس الوقت، الأوروبي و المجتمع الأصلي، أُجري عام 1856 .

تقنية أخرى لجمع المعطيات حول السكان و حركتهم الديموغرافية، هي الحالة المدنية. فبالنسبة للأوروبيين، عملية تسجيل وثائق الحالة المدنية، كانت تقام بانتظام و بشكل صحيح منذ 1830. أما بالنسبة للأهالي تم تأسيس الحالة المدنية، بقانون 23 مارس 1882.

2. التطور السكاني للمجتمعين، الجزائري و الأوروبي في فترة الاستعمار.

1.2. التطور السكاني للمجتمع الأوروبي.

1.1.2. تجسيد مشروع الإستيطان من خلال تشجيع الهجرة نحو الأراضي الجزائرية.

ظهرت فكرة الاستيطان أو التعمير الفرنسي للأراضي الجزائرية، بدءا من عام 1848. و تمّ في أوله من خلال الدعاية الاشهارية عن طريق ملصقات حائطية، تدعو فيها الحكومة المواطنين للترشح للهجرة اتجاه الجزائر. و كانت إعلانات خاصة للمزارعين و أخرى خاصة بالعمال. و الهدف هو خلق مستوطنات زراعية، بمنح الأراضي للمستعمرين مع امتيازات أخرى، تسمح لهم بالاستقرار على هذه الأراضي. و نظّم تأسيس المستعمرات الزراعية بمرسوم 19 سبتمبر 1948. و هو يظّم 22 مادة.

مرسوم 19 سبتمبر 1948

المادة الأولى: هدف المستوطنين الزراعيين هو استغلال الأراضي التي تمنحها لهم مجانا الدولة الفرنسية في الجزائر، و هذا تحت إدارة و تدعيم الحكومة و الإدارة للعائلات التي ستستفيد من مزايا مرسوم 19 سبتمبر 1948. و تتكون هذه المستوطنات الزراعية من أرباب الأسر أو العزاب، منقسمين إلى فئتين: المواطنين المزارعين، أو أولئك الذين يصزّحون برغبتهم أن يصبحوا كذلك و العمال الحرفيون.

المادة 5: يتم نقل المستوطنين على نفقة الدولة، هم و أثاثهم منذ مقر سكنهم إلى مكان توجّههم. و سوف تحدّد الإدارة الاستعمارية الوزن الأقصى للأثاث الممكن نقله.

كل مستعمر، سواء كان رجل أو امرأة، سوف يتحصل في اليوم على حصة غذائية، طوال مدة السفر. الأطفال الأقل من 12 سنة سوف يحصلون على نصف حصة.

المادة 8: المستوطنون المزارعون، سواء كانوا متزوجين أو عزابا، سوف يحصلون مجانا على:

1. سكن، تبنيه لهم الدولة في مهلة موجزة، و الذي سوف يلبي أغراض المزرعة.

2. حصة من الأرض التي تتراوح مساحتها ما بين 2 و 10 هكتارا، حسب عدد أفراد الأسرة، مهنتهم و كذلك طبيعة الأرض.

3. و سوف تُمنح لهم البذور و أدوات الزراعة و قطيع الماشية، التي لا غنى عنها في استغلال الأراضي، وفقا للتحديدات التي سوف تضعها الحكومة العامة، و هذا حسب حاجة كل مزرعة.

4. و أخيرا، طوال الفترة التي يعمل فيها المستوطنون في زراعة أراضيهم، تمنح لهم حصص من المونة، في انتظار جنيهم للمحاصيل، و هذه الحصص يحدّد كميتها الحاكم العام.

كانت الآمال كبيرة في فرنسا على الجزائر لتخليص باريس من العاطلين عن العمل، و التوصل إلى القضاء على الفقر و عمليات الشغب. و تم إرسال 12 000 مستعمرا، يُنقلون مجانا و يحصلون على سكنات و على حصص من الأراضي تتراوح مساحتها ما بين 2 و 10 هكتارات. و كان من المفروض إنشاء 40 000 مستوطنة زراعية.³

و قد جُهزت 12 بعثة مشاهجة، حيث وصل عدد الأشخاص المنقولين إلى 20 000 شخص.

و لكن رغم كل هذه المساعدات و التسهيلات الممنوحة من فرنسا للهجرة و لإنشاء هذه المستعمرات الزراعية على الأراضي الجزائرية، لم تكن الظروف قطّ سهلة، حيث أنّ استغلال الأراضي كان يتطلب مجهودات كبيرة. و كان على المرء أن يقاوم الأمراض و الأوبئة التي كانت تسود في المنطقة. و كانت تبدو البيئة غير مواتية و غير صحية. و نُسبت المشاكل الصحية التي عرفها المستعمرون آن ذاك إلى ما سمي "المرض المناخي".

2.1.2. التطور السكاني لمجتمع المستوطنين في بداية الاستعمار (وفيات مرتفعة و ضعف في الولادات

حسب هذه المعطيات، فإنّ الوجود الفرنسي في الجزائر، تميّز بارتفاع معدل الوفيات. و حتى 1856، كان معدل الوفيات يتجاوز باستمرار معدل المواليد. و لم يتغيّر الوضع إلّا في عام 1859.

النمو السكاني للمستعمرين في بداية الاحتلال⁴

السنوات	1830 - 1834	1835 - 1840	1841 - 1850	1851 - 1855	1859 - 1862
حركة السكان					
الولادات ‰	26	35	36	41	41,4
الوفيات ‰	45,2	50	51	48	32,5
النمو الطبيعي ‰	-1,9	-1,5	-1,5	-0,8	+0,9

يؤكد منصر رويسى هذه الوضعية في كتابه، السكان و المجتمع في المغرب :

"هكذا، و على الرغم من الجهد الهائل للاستيطان الفرنسي، و التشجيعات التي قدمت للأوروبيين الآخرين، على الخصوص للإسبان، من أجل الاستقرار في الجزائر، و على الرغم كذلك من "منح الجنسية الفرنسية تلقائيا" بمقتضى مرسوم كريميو (décret Crémieux) لعام 1870، لم يرتفع عدد السكان الأوروبيون إلّا بصعوبة كبيرة."⁵

و من جهة أخرى، الزيادة السكانية التي عرفها المستعمرون، كانت بفضل مساهمة الهجرة، كما يبين الجدول أدناه:

تطور عدد السكان المستعمرين في الجزائر (1833-1872)⁶

السنوات	الفرنسيين الأصليين	المجنسين فرنسين	مجموع الفرنسيين	الأجانب الأوروبيون	مجموع الأوروبيين
1833	3 478	/	3 478	4 334	7 812
1836	5 485	/	5 485	9 076	14 561
1839	11 000	/	11 000	14 000	25 000
1841	15 497	/	15 497	20 230	35 727
1846	46 339	/	46 339	49 780	96 119
1847	42 274	/	42 274	67 126	109 400
1851	66 050	/	66 050	65 233	131 283
1856	92 738	/	92 738	66 544	159 282
1861	112 229	/	112 229	80 517	192 746
1866	122 119	/	122 219	94 871	217 090

1872	129 601	34 574	164 175	115 516	279 691
------	---------	--------	---------	---------	---------

2.2. التطور السكاني للمجتمع الجزائري في فترة الاحتلال.

2.2.1. التراجع السكاني للمجتمع الجزائري في السنوات الأولى للاحتلال: التهديد بالزوال.

كم كان عدد السكان الجزائريين في بداية الاحتلال الفرنسي. هذا السؤال متكرر، و وارد في جميع الدراسات حول السكان الجزائريين وقت الاستعمار. و الأرقام المعروضة كثيرة و متباينة، و الرقم الأكثر مصداقية الذي أُعتمد من قبل العديد من المؤلفين يدور حول ثلاثة (3) ملايين نسمة لعام 1808، حسب ما ورد في كتاب سميير أمين، "الاستعمار وإنهاء الاستعمار"⁷:

"قَدّر عدد السكان الجزائريين، بثلاثة ملايين نسمة، و لكن هذا العدد لن يتحقق إلا عام 1882 (السكان المسلمون فقط)."⁸

هذه الفئة من السكان، قد اقتربت من الانقراض، و كادت أن تختفي تماما تحت تأثير السياسة القمعية للمستعمر، زيادة على تفشي الأوبئة، المجاعات و انخفاض الإنتاج الزراعي و غزو الجراد و ما إلى ذلك. و هذا ما أسماه الباحث جيلالي ساري بـ "الكارثة الديموغرافية" في كتابه الذي يحمل نفس العنوان و الذي يكشف فيه أهمية الخسائر البشرية للمجتمع الجزائري في بداية الاحتلال الفرنسي، حيث شبهها بـ "النزيف الديموغرافي".

فيما يخص هذه الخسائر البشرية، يعرض جيلالي ساري، نتائج بحوثه الميدانية المستندة إلى استغلاله لسجلات الحالة المدنية لفترة تخص انتشار هذه الخسائر البشرية التي عرفها السكان الأصليون، في بداية الاحتلال و هي فترة ثورات القبائل الجزائرية التي قمعها المستعمر بشدة. و يقدم الباحث في كتابه حصيلة هذه الخسائر و يظهر أسبابها: "في نهاية الأربعين عاما الأولى من المقاومة المسلحة ضدّ القوات الاستعمارية، يجد الشعب الجزائري نفسه في محنة صعبة تهدّد بقاءه و هذا في مناطق عديدة من الوطن." ⁹

"في غضون بضعة أشهر، من صيف 1867، انتشر الأموات و تسارع تزايدهم، محدثا اهتزاز شديدا في الجماعات المختلفة. حيث فرّ المحتضرون و الناجون بشكل واسع المناطق المختلفة نحو المراكز الحضرية." ¹⁰

تقييم الخسائر البشرية لسنوات 1867-1868

"تم تقدير هذه الخسائر البشرية على أساس حصيلة محلية و جهوية بـ 800 000 ضحية على أقل تقدير، و في الحقيقة لا يمكن أن يكون هذا العدد أقل من 1 000 000 شخص. و هذا يمثل ثلثا عدد السكان لعام 1860، حسب التقديرات الرسمية." ¹¹

أرجعت هذه الخسائر الثقيلة إلى المجاعة و الأوبئة و كذلك لنتائج ثورات 1864 (فرض غرامات ثقيلة) و كذلك معاقبة الأهالي لاحقا إثر ثورات 1871-1872 بتجريد الفلاحين من أراضيهم، حيث سلبت منهم في تلك الفترة نصف مليون هكتار. ¹²

عدد السكان عند تعدادات 1856-1872 ¹³

السكان	1856	1861	1866	1872
الفرنسيون	92 738	112 229	122 119	129 601
اليهود	21 408	28 097	33 952	34 574
الأهالي	2 307 349	2 732 851	2 652 072	2 125 052

115 516	94 871	80 571	66 544	الغرباء
2 404 743	2 904 014	2 953 694	2 487 679	المجموع
11 482	17 232	13 142	8 388	السكان الآخريين
1 416 225	2 921 246	2 966 836	2 496 067	المجموع العام

و في حين أنّ السكان الأوروبيين ينمون بسرعة كبيرة (بفعل الهجرة)، فإنّ السكان الأصليين أخذوا في الانخفاض، وفقا للبيانات الرسمية. ففي عام 1872، سجل 1, 2 مليون شخص للسكان الأصليين، و هو أقل من العدد الوارد عام 1856 (3,2 ملايين)، و هو أقل بكثير من الرقم المقدّر في بداية الاستعمار و البالغ 3 ملايين نسمة.

و تُفسّر هذه الأرقام جزئيا بالكوارث المختلفة التي حدثت في هذه الفترة مثل ظهور وباء الكوليرا في عام 1867، انتشار المجاعة في عام 1868، و وباء التيفوس و الجذري من 1869 إلى 1872.

في هذه الفترة، و بينما توسّعت الأراضي تحت السيطرة الاستعمارية، و انهزمت القبائل الثائرة عسكريا، فإنّ عدد السكان المحصّي انخفض بشدة. و قد سجلت تعدادات 1866 و 1872 انخفاضا متتاليا للسكان الجزائريين ، ما أدى بالمستعمرين بالتنبؤ بمصير السكان الأصليين إلى الزوال و الاختفاء القريب.¹⁴

فإحصائيات الولادات و الوفيات في المدن الكبرى كارثية، حيث أنّه خلال سنوات متتالية تغلبت الولادات على الوفيات. ولادات و وفيات السكان الأصليين في المدن (وهران ، الجزائر و قسنطينة)¹⁵

السنوات	الولادات	الوفيات
1845	477	2 115
1857	1 467	2 781
1848	1 454	2 366
1849	2 055	6 114
1850	2 883	4 192
1851	2 639	5 738
المصدر: ¹⁶ Bodin, 1853		

أمام هذه الإحصائيات، عبّر الملاحظون الفرنسيون بكل ابتهاج عن اقتراب نجاح خططهم الاستعمارية، التي تحسّدت في ضعف عدد الأهالي. و كان بوسع الدكتور ريكو (Dr . René Ricoux)¹⁷ أن يكتب طيلة هذا التراجع السكاني للجزائريين، أي إلى عام 1881: "إنّ السكان الأصليين أو الأهالي ، الذين لم يسترجعوا قوتهم منذ كوارث 1867-1871، مهددون قريبا بالاختفاء الحتمي."

عودة النمو السكاني للجزائريين للارتفاع: انتعاش مقلق بالنسبة للملاحظين الفرنسيين

لكن بعد نهاية ثورات القبائل الجزائرية ضدّ الاستعمار، المرحلة التي أُسميت بـ "تهدئة الجزائر"، استفاد السكان الجزائريون من فترات راحة، سمحت لهم باسترجاع نموهم، مع الاستفادة في نفس الوقت من التقنيات الصحية التي أدخلت إلى الجزائر. و يظهر الجدول التالي النمو المستمر للسكان الجزائريين (السكان المسلمون).

¹⁸ تطوّر السكان الجزائريون خلال تعدادات 1876-1921 (الأعداد بالآلاف)

السنوات	الفرنسيين الأصليين و المختسرين	اليهود	المسلمين التابعين لفرنسا	مجموع الغرياء	المجموع	السكان المحسوبون على حدى	مجموع السكان
1876	156,4	33,3	2 462,9	155,1	2 807,7	8,9	2 816,6
1881	195,4	35,7	2 842,5	181,3	3 254,9	55,5	3 310,4
1886	219,1	42,6	3 264,9	225,5	3 752,0	65,3	3 817,3
1891	267,7	47,5	3 559,7	233,2	4 108,0	16,7	4 124,7
1896	318,1	48,7	3 764,1	228,6	4 358,6	69,8	4 429,4
1901	364,3	57,1	4 072,1	245,9	4 723,0	16,3	4 759,3
1906	449,4	64,6	4 447,1	196,9	5 158,0	73,8	5 231,8
1911	472,7	70,3	4 711,3	218,4	5 492,6	71,2	5 563,8
1921	528,6	74,0	4 890,8	221,2	5 714,5	89,7	5 804,2

المصدر: Annuaire statistique de l'Algérie 1932

فعلى سبيل المثال، يسجل تعداد 1881 زيادة سكانية تقدر بـ 379 600 نسمة:

(عدد السكان المسلمين لعام 1881 - عدد السكان المسلمين لعام 1676)، أي ما يعادل 2,9 % كمتوسط سنوي للنمو

السكاني لعام 1881. وزيادة سكانية بـ 444 000 نسمة لعام 1886، مع نفس المتوسط السنوي لعام 1881.

ولقد أثار هذه المرة ارتفاع النمو السكاني للمجتمع الجزائري، مخاوف الملاحظين، و يرى (Fernand Boverat) ¹⁹ في النمو

السريع للسكان المسلمين، خطرا سياسيا بالنسبة لفرنسا الاستعمارية.

"(...) و من الواضح أنّ التزايد السريع للسكان المسلمين يشجّع قوميتهم، و يظهر منذ الآن أن لهذا النمو تأثيرات خطيرة

على المستوى السياسي اليوم و مستقبلا". ²⁰

3. بعض المقارنات ما بين تطور السكان الجزائريون الأصليون و السكان الأوروبيون .

أعطت نتائج تعدادات العشريات المتتالية منذ 1856، الأرقام التالية بالآلاف: ²¹

سنوات التعدادات	السكان الغير مسلمين	السكان المسلمون	المجموع
1856	180	2 307	2 496
1876	345	2 463	2 868
1911	752	4 741	5 564
1921	791	4 923	5 804
1931	882	5 588	6 554
1954	984	8 449	9 530

حسب العديد من المؤلفين، خلال فترة الاحتلال ما بين 1830 و 1848، وكذلك لاحقا جراء ثورة 1871، سجلت

خسائر بشرية كبيرة للمجتمع الجزائري، و هي ليست نتيجة مباشرة للحرب، ممّا هي تبعات القمع الاستعماري، المتمثل

في تجريد القبائل من أراضيها، ما دفع إلى الفقر و المجاعات عام 1868 - 70 و تفشي الأوبئة مثل الكوليرا عام 1867.

و رغم هذا، و انطلاقا من عام 1876، فإنّ نمو السكان المسلمون أصبح سريعا ، ما عدا في فترة حرب 1914-1918

(...). و قدّر متوسط هذا النمو بما يقارب 1,8% سنويا في كل ثلثي الجيل 1876-1911 و 1921-1954 .

مقارنة ما بين معدل النمو السنوي لسكان العاصمة الفرنسية، للسكان الغير مسلمين

و للجزائريين المسلمين. ²²

السكان	الولادات‰	الوفيات‰	معدل النمو‰
سكان العاصمة الفرنسية	18,8	12,0	0,68
السكان الغير مسلمين	19,0	8,6	1,04
الجزائريين المسلمين	43,0	15,0	2,80

و بمقارنة معدل الولادات، و الوفيات و معدل النمو السكاني للمجتمعات الثلاث ؛ مجتمع الفرنسي بالعاصمة الفرنسية؛ مجتمع المستعمرين (السكان الغير مسلمين)؛ المجتمع الجزائري الأصلي (السكان المسلمون)، يعبر (Fernand Boverat) عن تخوفه من خطر أكيد قائلاً:

"نلاحظ كم هي مرتفعة ولادات المسلمين: فهي من بين الولادات الأقوى في العالم. حتى أن السيد (Breil) يصرح أنها لا تظهر أية أعراض للانخفاض".²³

الأرقام الخاصة بالولادات و الوفيات في الوسطين، الأوروبي و الجزائري.

الأرقام التالية تكشف على أن عن معدلات الولادات للأوروبيين مرتفعة جداً، لكنها في تراجع.

معدل الولادات للسكان الأوروبيون (بالألف)²⁴

السنوات	1921	1926	1931	1936
معدل الولادات‰	26	25	24	20

معدل الولادات و الوفيات للسكان الجزائريين (بالألف)²⁵

السنوات	1921	1926	1931	1936
معدل الوفيات‰	24	16	15	16
معدل الولادات‰	20	27	31	36

تظهر الأرقام أعلاه تضاعف ولادات السكان المسلمين أي الجزائريين ما بين 1921 و 1931.²⁶

الخلاصة:

الإحصائيات الديموغرافية في الفترة الاستعمارية مشوبة بأخطاء عديدة، و رغم هذا، فهي تكتسي كل أهميتها للوصف و التعبير عن قوة و تصميم مجتمع على الاستمرار في الوجود و البقاء أمام مخاطر اختفائه و زواله، جراء تبعات السياسة القهرية و القمعية للمستعمر.

فمشروع الاستعمار الفرنسي لم يقتصر في الاستيطان و الاستقرار على الأراضي الجزائرية ، و انشاء مستعمرات على هذا الإقليم، بل تعدى ذلك ليهدف إلى استبدال السكان الجزائريون بالفرنسيين و حتى بالأوروبيين.

إنّ فرنسا المستعمرة، لم تستطع أن تفرض وجودها ديموغرافيا على الأراضي الجزائرية لانجاح مشروع الاستيطان، فوجدت نفسها مضطرة اللجوء إلى تشجيع هجرة الأوروبيين مثل الإسبان، الإيطاليين و المالطيين.

و على العكس، فإنّ السكان الجزائريون ، رغم القهر و سياسة الإبادة المطبقة عليهم في بداية الاحتلال مما أدى إلى التراجع السكاني، و على الخصوص بعد ثورات مختلف القبائل ضدّ الاحتلال. و رغم ظروف الحياة السيئة الناجمة عن سلب أراضيهم من المستعمر، استطاعوا الاستفادة من فترات السلم لاسترجاع نموهم السكاني و تحقيق الانتعاش الديموغرافي و بالتالي تفشيل مشروع الاحتلال الاستيطاني.

و في الأخير فإنّ هذا المقال، لا يريد أن يكون مشجعا للسكان. و يدعو من خلال دراسة الواقع لتفكير أكثر تفتحاً و أوسع حول أهمية الظاهرة الديموغرافية.

المراجع

¹ عبارة الحيوية الديموغرافية، تعود إلى Fernand Boverat ، رئيس المجلس الأعلى للولادات.

² Kamel Kateb, la statistique coloniale en Algérie, courrier des statistiques n°112, Institut National de la statistique et des études économiques, décembre 2004 , p5.

³ Moncer Rouissi , population et société au Maghreb , Office des Publications Universitaires, Alger, 1983 , p67.

⁴ Ibid , p 66.

⁵ Ibid, p 67.

⁶ Kamel Kateb, Européens, Indigènes et Juifs en Algérie (1830-1862) –représentations et réalités des populations , INED – PUF, paris 2001, p29

⁷ Moncer Rouissi, Op cit, p46.

⁸ Samir Amine, l'économie du Maghreb ; la Colonisation et la décolonisation, les éditions de Minuit, Paris 1966, p9.

⁹ Djilali Sari, Le Désastre démographique, Société Nationale d'Édition et de Diffusion, Alger, 1982, p7.

¹⁰ Ibid, p7.

¹¹ Ibid, P 132.

¹² Ibid, p261

¹³ Kamel Kateb, indigènes et juifs en Algérie (1830-1862) –représentations et réalités des populations, INED – PUF, paris 2001, p 30.

¹⁴ Ibid, p31.

¹⁵ J.ch Boudin , médecin chef de l'Hopital militaire du Roule, officier de la légion d'honneur

¹⁶ Moncer Rouissi, op cit, p61

¹⁷ Renée Ricoux médecin traitant à l'hôpital civil de Philippeville, auteur du livre, La démographie figurée de l'Algérie, étude statistique éditions Masson 1880.

¹⁸ Kamel Kateb , op cit, p120.

¹⁹ رئيس سابق للمجلس الأعلى للولادات

²⁰ Fernant Boverat , Le surpeuplement accélérée de l'Algérie, Conseil Supérieur de la Natalité , Alger, P3.

²¹ Samir amine, op cit, p21.

²² Fernant Boverat , op cit, p3.

²³ Louis Chevalier , Le problème démographique Nor-Africain, travaux et documents , cahier n° 6, Presses Universitaire de France, Paris, 1947.

²⁴ Ibid, cit, p29.

²⁵ Ibid, cit, p29.

²⁶ Ces chiffres ont été contestés en raison qu' il semble que les statistiques de l'Etat civil aient été très mauvaise après la guerre de 1914-1918.